عن «مشروع النهضة» و«نداء الإجماع»... من جديد

تتابع الآداب نشر المناقشات التي وردتْها حول «مشروع النهضة ـ مقدمة حوار» و«نداء لبناء منبرٍ للإجماع العربيّ في الولايات المتحدة.» ونذكّر بضرورة ألا تتجاوز المناقشة الواحدة ٥٠٠ كلمة، وأن تتركّز على «المشروع» و«النداء» لا غير.

الآداب

ويبقى التحدي: من أين نبدأ ومَنْ يطلق هذا المشروع؟ ——— أمير مخّول*

شكرًا على إرسال «مشروع النهضة ـ مقدمة حوار،» هذه الصيغة المبادِرة الهامّة والحياتية، التي كلّما قرأتُها وجدتُني أتخلّص من العديد من الأسئلة والملاحظات التي أعددتُها خلال القراءة الأولى. وقد حدث ذلك نتيجةً لشمولية الصياغة وتطرُّق الوثيقة إلى مجمل الموضوعات ذات العلاقة بمشروع استنهاض الحركة القومية العربية بصيغة ديموقراطية حديثة.

إنّ أهمية الوثيقة المطروحة تَكْمن في أمريْن أساسيَيْن. الأول هو مجرد أخذ المبادرة إلى إعادة بناء حركة نهضة قومية عربية حديثة تلائم العصرَ وتحدياتِه. والثاني هو كونها اجتهادًا يصبو إلى تشخيص الواقع والتجارب السابقة، وإلى استنهاضٍ جديدٍ للهمة العربية المحاصَرةِ والغائبةِ إلى حدّ كبير.

وتبقى المهمةُ الأساسُ في كيفية التحوُّل من النصّ إلى التنظيم على أرض الواقع. لكنْ قبل الحديث عن هذه النقطة، هناك ملاحظة أعتقد أنّها هامة وهي ضرورة الإجابة على السؤال: لماذا انتكست ولماذا انهارت الحركةُ القوميةُ العربية؟ إنّ الإجابة على هذا السؤال بالتطرّق إلى العامل الداخليّ لا تقلّ أهميةً عن الإجابة عليه بالتطرُّق إلى العامل الخارجيّ. لكنْ حتى وإنْ لم تكن الإجابة عن العامل الداخليّ وافية فإنّ بالإمكان الاستعاضة عن ذلك بإبقاء التجربة تعلّميةً وقائمةً على أوسع مشاركة.

الموضوع الآخر هو الحاجة إلى تأكيد وجود موقف علمانيّ متنوِّر من الإسلام السياسيّ، المتنوِّر وغيرِ المتنوِّر. والسؤال الذي أَطرحه هو: هل ستعيد الحركة القومية المتجدّدة إنتاج العلاقة التاريخية العدائية مع الإسلام السياسيّ، أَمْ ستبحث عن مشروع تتّسع فيه التعدديةُ إلى استيعاب هذه العلاقة؟ هذا من أصعب الإشكالات التي قد تواجه الحركةَ المتجدّدة. والحال اليوم أنّ الإسلام السياسيّ يَمْتلك مشروعًا وتنظيمًا، بينما تَفْتقر إلى ذلك طلائعُ الحركة القومية العربية. وكلا التياريْن يتنافسان على مضمون الهوية الجماعية لحركة الناس الواسعة في الوطن العربيّ، ولكّن بينهما نقاطَ التقاءٍ كثيرةً من الموقف حيال الهيمنة الأميركية ـ الإسرائيلية على المنطقة. إنّ مَنْ يَحْمل مشروعًا نهضويًا كهذا مطالَبٌ بأنْ يعطي الجوابَ أو الأجوبة عن هذه المسألة. فهنالك صيغة تعددية موحّدة، وهناك صيغة منفردة منسّقة وفق القواسم المشتركة، وأيضًا وفق قواعد التعامل مع التباينات بين التياريْن. وهذا يتطلّب حوارًا هادفًا حول كيفية مواجهة التحديات الخارجية، والاتفاق على قواعد اللعبة الداخلية.

ويبقى السؤال الجوهريّ الذي يلي الصياغة هو: من أين نبدأ؟ وكيف؟ ومَنْ يبدأ؟ كيف نحوّل حلمَ الطلائع إلى حلم الجماهير وحلم كلّ مواطن ومواطنة في العالم العربيّ؟ وأيُّ بصيصٍ من أمل يُمْكننا تقديمُه؟

---

* ـ مدير «اتجاه،» وهو اتحاد الروابط والجمعيات العربية في فلسطين ٤٨.

الاقتراحات العملية المقدَّمة في نهاية الوثيقة هامةٌ وضرورية، لكنَّها باعتقادي غير كافية. فطلائع الحركة بحاجة إلى أن تنظِّم ذاتها أولاً، بشكل مكشوفٍ للناس ويَضْمن مشاركةَ كلّ المعنيين والمعنيات. الطلائع بحاجة إلى تلك المجموعة من عشرات الأشخاص في كلّ بلد، تلتزم تحريكَ العجلة وتكون على استعداد لدفع الثمن السياسيّ، إنْ كان هناك ضمانٌ أن لا يذهب الثمن مع الريح، بل يراكم الحراك الاجتماعيّ الشعبيّ إلى درجة لا تستطيع معها الأنظمةُ اقتلاعَ الطلائع. وبهذا تصبح الطلائع محميّةً شعبيًا.

في اعتقادي أنّ بداية الحراك يجب أن تبدأ في عدة أقطار، وفي آن واحد. فالإعلان عن إطلاقِ حركةٍ تريد أن تحمل مشروعًا بهذه الضخامة يجب أن يبدأ من الناس. ويحبَّذ إعلانُها بشكل متزامن في كلّ العواصم العربية مع إعلانِ أول نشاط شعبيّ وبشكل متزامن أيضًا في كلّ الدول العربية. ذلك أنّ العمل الإقليميّ المتزامن على أساس التكامل والتضامن أقوى بكثير من عملٍ منفرد.

أخيرًا، فإنّ إحدى الرسائل الثابتة للحركة، والتي ينبغي أن نَحْملها دائمًا، هي الربطُ بين التحدي الخارجيّ وقمعِ الحريات الداخلية، وبثُّ الأمل في أنّ الشعوب مستضعفة لا ضعيفة وأنّها هي المخوّلة تاريخيًا مَنْحَ الشرعية للأنظمة أو نزعها. إنّ رسالة الأمل والحلم ضرورةٌ حياتيةٌ لمشروع نهضويّ، وهي الأساس للتفاعل الواسع وانطلاق الحركة للتحوّل من ملْكية الطليعة إلى ملكيةِ كلّ الناس.

حيفا

مشروع النهضة: أداة حركة التحرّر العربيّ

رجاء الناصر*

أهمية أية فكرة أو إيديولوجيا هي قدرتُها على التجسُّد العمليّ. وبدون هذا التجسد تبقى مجردَ مُثُلٍ عليا، مكانُها خارج الفعل الإنسانيّ.

والحقّ أنّ الحامل الاجتماعيّ لهذا المشروع النهضويّ التجديديّ لا يمكن أن يتأسّس بعيدًا عن القوى المنتِجة في المجتمع؛ وهو ما جرى التعبيرُ عنه في السنوات السابقة بتحالف قوى الشعب العاملة، أيْ بالطبقة الوسطى ـ وعلى طرفيْها شرائحُ من الرأسمالية الصغيرة من جهة، وقوى العمل الصناعيّ أو الزراعيّ، أيْ طبقة «المعدمين» اقتصاديًا، من الجهة الثانية. والطبقة الوسطى لا تمثِّل القوى المجتمعية المتحرّكة اقتصاديًا فحسب، وإنّما ثقافيًا أيضًا؛ ومن هنا يَبْرز الدورُ المميّزُ للمثقفين وللنشطاء السياسيين الوطنيين الديموقراطيين. هذا الحامل الاجتماعيّ، رغم كلِّ ما تعرَّض له من محاولات إلغاء الدور والهوية في كثير من الأحيان، استطاع أن يبقى على أرض المعركة الدائرة بين إرادة التحديث والنهوض وبين الرغبة في السحق والاستئصال لصالح قوى اجتماعية جديدة هي في غالبيتها قوًى غيرُ منتِجة.

هنا يَجْدر التنويهُ إلى الظلم التي تعرَّضتْ له قوى المعارضة الوطنية الديموقراطية من قبل قوى القمع والاستبداد، ومن قبل الكثيرين ممن اعتَبَروا أنّ التجديد لا يتمّ إلاّ بتجاوز تلك المعارضة... علمًا أنّ هذه الأخيرة كان لإسهاماتها دورٌ كبيرٌ في بلورة المشروع النهضويّ عبر تأكيدها على أهمية التجديد، وكانت قضيةُ الديموقراطية وإعادة الاعتبار إليها من إنجازاتها الأولى. والحال أنّ فهم الدور الفعليّ لما حقّقته قوى المعارضة الوطنية الديموقراطية في المجال المعرفيّ والثقافيّ، من إسقاط الشمولية كنهج وفكرة قبل سقوطها كأنظمة، يستدعي أساسًا إعادةَ الاعتبار إلى كثير من تلك القوى ويضعها في مكانها الصحيح ضمن أدوات المشروع النهضويّ، بدل تجاوزها بما يُلْحقه هذا التجاوزُ من هدرٍ للطاقات، ومن خلقٍ للصراعات الهامشية، ومن قطيعةٍ غير مقبولة مع تاريخ النضال الوطنيّ.

إنّ الحامل الاجتماعيّ للمشروع النهضويّ لا يتحرّك من الفراغ، وإنّما هناك جُزُرٌ فعليةٌ قد تكون محاصرةً أو مبعثرةً ولكنَّها منظّمة، وهي تنتمي فكريًا إلى المشروع النهضويّ. وتتمثّل هذه القوى في التيارات الإيديولوجية القومية أساسًا، واليسارية والإسلامية المتنوّرة التي تلتقي على كثيرٍ من العوامل المتشركة في هذا المشروع، وهي على استعداد مبدئيّ لتعميق المشترك بينها لتنسجم تمامًا مع هذا المشروع في خطوطه الرئيسية ولتساهم في إغنائه وتطويره.

إنّ كثيرًا من هذه القوى مهيّأة لتتجاوز واقعها الإقليميّ والمحليّ، متسلّحةً بوعيها وثقافتها ومشروعها. وهذا ما يتطلّب توسيعَ قاعدة

* ـ رئيس الجمعية الأهلية لمناهضة الصهيونية، سورية.

الحوار بين تلك القوى والتشكيلات والهيئات الحزبية والثقافية والاجتماعية لتشكّل عبر هذا الحوار القاعدةَ الأولية للمشروع المشترك، بعيدًا عن عقد الإقصاء والانزواء.

ولمّا كان العمل القوميّ لا يَقْفز فوق القطريّ /الوطنيّ، فمن الضرورة أن تكون القوى القوميةُ المنخرطةُ في المشروع ذاتَ وجودٍ في أقطارها، وذاتَ دورٍ في العمل الوطنيّ، حتى لا تكون عالة على العمل القوميّ.

إنّ ذلك يتطلّب تحديدَ القوى والفاعليات والنخب المدعوّة إلى الاتفاق على القواسم المشتركة بينها، ويتطلّب الاتفاق أيضًا على معايير وضوابط موضوعية لا بدّ من توفّرها كحدّ أدنى لتطبيقها على القوى المرشّحة أو المفترضة. وفي مقدمة هذه المعايير والضوابط الأمران التاليان:

أ ـ استقلالية هذه القوى عن السلطات الحاكمة واستقلالية قرارها.

ب ـ الوجود الفعليّ لهذه القوى على أرض الواقع في أقطارها.

دمشق

نقد للنداء العربيّ في أميركا الشمالية

زياد الجشي*

في الآونة الأخيرة صدر نداءٌ، نُشِر في الآداب، لبناء منبر للإجماع القوميّ العربيّ في أميركا الشمالية. ويسعى هذا النداء إلى توحيد كلمة العرب المقيمين في الولايات المتحدة ويعيشون حالةً من الاضطهاد السياسيّ والاجتماعيّ بعد أحداث ١١ سبتمبر. لكنّنا، بدورنا، وكجزء أساسيّ من التيار الوطنيّ العربيّ الرافض للإمبريالية الأميركية ولمشاريع أوسلو والمناهض للصهيونية والرأسمالية المتوحشة، وجّهنا نقدًا لهذا النداء. ونقدنا هذا ليس موجّهًا إلى الفكرة ذاتها، وهي فكرة نراها تصبّ في الاتجاه السليم، بل إلى الثغرات الواسعة التي لن تؤدّي في النهاية إلى وحدة كلمة العرب في أميركا وستُجهض الجهدَ من الأساس.

ولقد تابعنا المقال الذي كتبه إلياس رشماوي ونُشِر في مجلة الآداب (٥/٦، ٢٠٠٣): فإذا بالمقال يحتوي إيجابيات كثيرة لم يحتوها النداءُ نفسه.[١] ففي مقال إلياس رفضٌ لمشروع أوسلو الساعي إلى الاعتراف بدولة العدوّ، ورفضٌ للاحتلال الاستعماريّ للعراق، ودعوةٌ إلى مقاومة الانتهاكات الدستورية الصارخة داخل الولايات المتحدة ضدّ العرب والمسلمين ـ وكلٌّ هذا لم يكن جزءًا من «النداء.» ولقد قمنا بالاستفسار فقيل لنا إنّ صيغة «النداء» كانت تسعى إلى ضمّ أكبر عدد من الأصوات، ولهذا خلا من الخطوط الحمراء التي تَصُوغ قاعدةَ المبادئ التي من حولها سيكون «الإجماعُ العربيّ» داخل أميركا.

غير أنّنا نرى في هذا الأمر، بحدّ ذاته، فشلاً مبدئيًا وتكتيكيًا. ولكنّ مقال إلياس ربما يكون بشارةَ خير نحو توجُّهات هذا النداء في المستقبل.

الخلفية التاريخية السياسية «للنداء»

كان صبُّ الجهود العربية في الولايات المتحدة يأخذ شكله الأساسيّ في العقود الثلاثة الأخيرة عبر «اللجنة الأميركية العربية لمقاومة التمييز» (ADC) التي أسّسها سيناتور أميركيٌّ من أصول عربية هو جيمس أبو رزق. لكنْ في السنوات العشر الأخيرة تغيَّر هذا الشكل ليأخذ طابعَ مؤسّسات أميركية ذات توجُّه إسلاميّ، لعلّ أشهرَها حاليًا جمعيةُ CAIR. غير أنّه برغم تغيّر الهوية الإيديولوجية لهذه المنظّمات فإنّها مازالت تمارس الآليات نفسَها في العمل السياسيّ داخل الولايات المتحدة. وهكذا فإنّ شيئًا لم يتغيّر على الأرض.

كان عمل الـ ADC في الأساس يَهْدف إلى حماية الحقوق المدنية للجالية العربية في أميركا. ولكنّ تفجُّر الأوضاع السياسية في الوطن العربيّ أَجْبر هذه الجمعيةَ على لعب دور اللوبي الذي يسعى إلى استمالة الإدارة الأميركية نحو القضايا العربية. ولقد شَجّعت الدولُ العربيةُ ذلك، ولاسيّما دولُ الخليج التي كانت تبحث عن امتدادٍ لها داخل أميركا نفسها يساعدها على الوقوف في وجه اللوبي الصهيونيّ المتغلغل داخل الإدارة الأميركية الحاكمة (ولعلّ أبرز ما حصل في هذا الصدد داخل الـ ADC هو ضمُّها خليل جحشان وجميعةَ NAAA التي كانت بالأساس تمارس دورَ اللوبي العربيّ لسنوات عدة).

في السنوات الأخيرة حدث تغيُّرٌ في زعامة الـ ADC: فقد كانت المرحومة هلا مقصود تسعى إلى وضع هذه الجمعية في موضع اللوبي العربيّ الشامل، فتحوّلتْ من قضايا التمييز إلى قضايا

---

* ـ كاتب وناشط فلسطينيّ في الولايات المتحدة.

١ ـ الجدير ذكره أنّ رشماوي، كاتب المقال في العدد ٥/٦، كان أحد واضعي النداء المنشور في العدد ٧/٨. (الآداب)

سياسية بحتة مثل نصرة القضية الفلسطينية والعملِ على رفع الحصار عن العراق، بالإضافة إلى العمل على توسيع القاعدة الجماهيرية لهذه المنظمة حتى تصبح ممثّلةً لصوت العرب داخل أميركا. ولكنْ بعد وفاة هلا مقصود جاء زياد العسلي، فتجاوز كلَّ الخطوط الحمراء السياسية، ليصبح ذيلاً من ذيول الإدارة الأميركية في وسط الجالية العربية: فلقد أيّد العدوان على أفغانستان، والعدوان على العراق، وأخيرًا ـ وقَبْل أن يترك منصبه هذه السنة ـ رضي بتقسيم فلسطين وأيّد عملية أوسلو كحلّ للقضية الفلسطينية.

هذا التوجُّه الأرعن خَلَقَ حالةً من الفوضى داخل الـ ADC، ولاسيّما مع بعض كوادر الجمعية أمثال ميشيل شحادة في الساحل الغربيّ، وهو ناشط معروف في ولاية كاليفورنيا. التحرُّك السياسيّ للـ ADC نحو اليمين أحرج هؤلاء كثيرًا، وأدّى في النهاية إلى فصل شحادة، وإلى تبلور حركة داخل الجمعية المذكورة كان من ضمنها إلياس رشماوي وكثيرٌ من قدامى الناشطين وبخاصةٍ في كاليفورنيا. والجهد الذي يقوم حاليًا «للإجماع القوميّ العربيّ» في أميركا يأتي من هذه المجموعة نفسها التي تبحث عن بديل سياسيّ جديد للـ ADC.

ما مشكلة اللوبي العربيّ في أميركا؟

فشلُ اللوبي العربيّ في أميركا منذ نكسة حزيران ١٩٦٧ في استمالة الرأي العام الأميركيّ، والحكومةِ الأميركية، يرجع إلى سببيْن أساسيَيْن:

١ ـ إنّ الطبيعة الإمبريالية للحكومة الأميركية يجعل مصالحَها ضدّ مصلحة الشعوب العربية أصلاً وضدّ قضاياهم التحرُّرية والتنموية. فنجاحُ اللوبي الصهيونيّ في استمالة تلك الحكومة الأميركية لا يعود إلى جهد اللوبي الصهيونيّ وعمله الدؤوب بالمال والإعلام فحسب، وإنّما يعود أساسًا إلى كون المصالح الأميركية الإمبريالية والمصالح الصهيونية متوافقة بل وجهان لعملةٍ واحدة. فمشروع الصهيونية مشروع استيطانيّ استعماريّ يَخْدم الإمبريالية الأميركية ويعمل معها، ومن الطبيعيّ أن يكون ضدّ مشروع الوحدة العربية والنهضة العربية وضدّ مصلحة الطبقات العاملة العربية عامةً.

٢ ـ إنّ مَنْ يقود الجهدَ العربيَّ في أميركا هو، عامةً، الفئات الرأسمالية العربية والفئات البورجوازية العربية الصغرى. ومن هنا الطابعُ الموالي والاسترضائيُّ لحكم الطبقة البورجوازية الأميركية، ومن هنا أيضًا الانتهازية والمساومة لدى تلك الفئات. إنّ هذه الفئات العربية لن تسعى أبدًا إلى تحرُّر شعوب العالم العربيّ، بل إنّها شريكة أيضًا في سحق الطبقات الشعبية الأميركية التي تترنّح تحت وطأة الهمجية الرأسمالية داخل الولايات المتحدة ذاتها.

مراجعة «النداء»

لم يتعلّم الصادحون بـ «النداء» المنشور في الآداب من الدروس القاسية السابقة التي تلقتها الجهودُ العربيةُ «اللوبيةُ» التوجُّهِ في الولايات المتحدة. لاحظوا مثلاً الثغرات التالية:

١ ـ يتّجه «النداءُ» إلى تصنيف الحكومة الأميركية بمجموعة من الحمائم والصقور. إنّ خطورة هذا الطرح تتمثّل في أنّه يهيِّئ لإستراتيجية «اللوبي» العربيّ الذي سيعمل مع «الحمائم» البورجوازية داخل الحكومة الأميركية نفسها، مع تجاهلٍ تامٍ للطبيعة العدوانية الطبقية للحكومة الأميركية.

٢ ـ لم يحدّد «النداء» بلغةٍ واضحةٍ الخطوطَ الحمراء المبدئية التي يسعى إلى بناء إجماع عربي في أميركا يَمْنع مِنْ تخطّيها. فليس هنالك تأكيد على عروبة فلسطين، وليس هنالك رفض صريح لعملية أوسلو، وليس هنالك تأييد للمقاومة العراقية الباسلة لإزالة الاحتلال الأميركيّ، وليست هنالك دعوةٌ إلى مساندة سوريا، ولا دعوة لدعم المقاومة اللبنانية في الجنوب! هذه النقاط ضرورية من أجل إجماع عربيّ على برنامج محدَّدٍ له مستقبلٌ، ومنسجم تمامًا مع الامتداد الطبيعيّ للجالية العربية مع الوطن العربيّ.

٣ ـ أخيرًا يجب علينا توضيح أنّ مَنْ يريد أن يعمل على مسرح النضال السياسيّ الأميركيّ لا يُمْكنه تجاهُل التاريخ النضاليّ القائم والمستمر على هذه الأرض. لذلك فإنّ على أيّ جهد عربيّ مستقبليّ أن يصطفّ إلى جانب القوى السياسية الثورية الأميركية التي تناضل إلى جانب الطبقات المسحوقة الأميركية لسنين.

وهكذا فإنّ على العرب، كغيرهم، توحيدَ الصفوف والابتعاد عن المساومة مع النظام الوحشيّ القائم في أميركا. ومن أجل هذا الهدف قمنا ببناء «لجنة مناهضة الصهيونية في أميركا الشمالية»[1] وندعو الجميع إلى المشاركة في تقديمها كبديل وطنيّ غير مساوم نتصدى من خلاله لكلّ المشاريع الانهزامية التي تَهْدر قضايانا وقضايا الشعوب المضطهدة في العالم العربيّ وفي كلّ مكان.

تكساس

١ ـ North America Comittee Against Zionism and Racism - NACAZAR.